

مقارنة الأسطورة في آراء شفيجي كدكني وأدونيس النقدية

عبدالحسين فقهي^{١*}، صفورا فصيح رامندي^٢

١. أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة طهران

٢. طالبة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها بجامعة امام خميني (ره)، قزوین

تاريخ استلام البحث: ١٣٩٧/٠٥/٢٤ تاريخ قبول البحث: ١٣٩٧/٠٨/٢٢

الملخص

لقد كانت الأسطورة واحدة من تلك الأدوات التعبيرية الجمالية التي اهتدى إليها الشاعر الحديث واستعان بها في شعره. توظيف الأسطورة في النص الشعري المعاصر مسألة في غاية الأهمية، فما من شاعر عربي أو فارسي معاصر معروف إلا وقد وظّف الأسطورة في أعماله إما عن طريق الإشارات الأسطورية، أو إقناعاً عبر اقتباس هيكل أسطوري قديم للتعبير من خلاله عن المضامين المعاصرة. عندما يستحضر الشاعر الأسطورة، فإنه يستحضر التاريخ والحقول المعرفية الأخرى كالحظاب الأدبي. والأسطورة في الأبين الفارسي والعربي جاءت نتيجة لتأثرهما من الأدب الغربي من جانب وللظروف السياسية والاجتماعية الحاكمة من جانب آخر. فنستطيع القول بأن لا مجال لدراسة الأسطورة من الأربعينيات حتى الثمانينيات من القرن المنصرم دون الانتباه لهذين العاملين المهمين. في هذه الدراسة نتطرق إلى تجلّي الأسطورة في أشعار الشاعر العربي الكبير أدونيس والشاعر الإيراني الشهير محمد رضا شفيجي كدكني وفق المنهج الوصفي - التحليلي لبحث عن اشتراكهما وافتراقهما في تصوير الأساطير. وصل البحث إلى هذه النتيجة التي تدلّ على توظيفهما المشترك للأساطير القومية والوطنية مثل زردشت والعنقاء ووشخصيات دينية ووصوفية مثل الإمام الحسين (ع) والحلاج بتقنيات أدبية خاصة بالأسطورة مثل الرمز والنقاب. انفرد أدونيس باستخدامه النبي المسيح فيما لا يأتي شفيجي بهذه الشخصية الدينية؛ كما استخدم أدونيس أساطير آشورية وفينيقية مثل فينوس وتموز.

الكلمات الرئيسية: الأدب العربي؛ الأدب الفارسي؛ الأسطورة؛ أدونيس؛ شفيجي كدكني.

١. المقدمة

تطلق الأسطورة على الناس المقدسين الذين يملكون جذوراً في التاريخ وهوية الأقاليم والملل. عندما طرح بي. اس. اليوت نظرية المعادل الموضوعي، أصبح للرمز المتمثل بالقناع والأسطورة دوراً بارزاً في الشعر. لعبت اليونان دوراً أساسياً في تثرية الأساطير في الشعر نظراً لتاريخها الحضاري. سيطر الأدب الغربي على الثقافة العربية وآدابها وبشكل عام على العالم الثالث نظراً لتطوره التقني.

كلّ النقاد يتفقون على تأثر الأدب العربي بالأدب الغربي في العصر الحديث ويستشهدون بالأساطير لاثبات مدعاهم. ساعدت الأسطورة الشعراء في العالم العربي لإعلان مواقفهم المناهضة لسياسات الحكومات الشمولية وغير الديمقراطية العربية التي كانت دائماً تفرض التعتيم والحصار الفكري.

كثرة الأساطير القومية والوطنية ساعدت الشعراء على استخدام هذه التقنيّة الأدبيّة أي الأسطورة سواء كانت انتاج غربي أو كانت فتناً أدبياً محضاً، فقد لعبت دوراً محورياً في استدعاء الميراث الثقافي والديني والقومي والوطني والتاريخي.

تعدّ الأسطورة الشكل الأول للشعر. نقاد الشعر والأسطوريون متفقون أنّ الشعر على صلة وثيقة بالأسطورة منذ بداياته الأولى. وهذا ليس بسبب اعتبار الأسطورة قراءة للقصة بشكل مبسط بل لأنها تُعدّ تفسيراً للطبيعة، والتاريخ، والروح، وأسراره. قراءتنا للأساطير مبنية على كشف رموز الأشياء فيه. الأساطير ليست إلا الآراء والأفكار المتغيرة في قالب الشعر (زايد، ٢٠٠٥: ١٧٤).

يُعدّ الشعر العربي الحديث من أنواع الشعر العالمي الحيّ الذي يأخذ شعراء إلهامهم من الأساطير. الجيل الأول من الشعراء المعاصرين، اكتفوا بإعادة كتابة الأساطير وبشكل مبسّط ولم يتمكنوا من إعطاء صبغة أسطورية لشخصياتهم الأسطورية بشكل يحمداوا عليه. لذا لم يستطيعوا من حبر القارئ على حوض عمق المفاهيم وإدراكها. إذن لم يعطوا طابعاً تصويرياً للنصّ لتقويته. وفي خاتمة المطاف أصبحت الأسطورة في شعر هؤلاء المعاصرين أمراً ظاهرياً منعزلاً عن بنية النصّ لا يخدم الوحدة الداخلية للشعر (الورقي، ١٩٨٤: ١٤٣). توظيف الأسطورة بشكل فنيّ بدأ مع ظهور البيئات القمعية والمرعبة التي قامت الأنظمة العربية السياسية والاجتماعية الحاكمة بخلقها.

وفي هذا العصر المليء بالقلق، بحث الشعراء عن طريق لترسيم أحلامهم. لهذا استخدموا لغة رمزية وغير مباشرة لنقد المجتمع العربي وقادته وزعمائه وبالطبع كانت الأسطورة من أفضل الأدوات لنيل هذا الهدف (الجوسى، ٧١٧: ٢٠٠١).

أضافة إلى أهم الأساطير التي قام بتوظيفها الشعراء العرب المعاصرون، أخذت أسطورة (أورفيوس) اليونانية حيزاً أساسياً من الشعر العربي المعاصر. أما الأسطورة فهي أنواع، فمنها أسطورة التكوين والأسطورة الطقوسية والأسطورة البطولية والأسطورة التعليمية والأسطورة الرمزية وأساطير الآلهة.

يهدف هذا البحث من خلال المنهج الوصفي - التحليلي إلى بيان أسباب علاقة شعر أدونيس وشفيعي كدكني بالأسطورة والكشف عن مكانتها في شعر هذين الشاعرين ومدى علاقة الأسطورة برؤيتهما، وذلك يكون عبر الإتيان بنماذج من أشعارهما.

شكل استخدام الأسطورة وتوظيفها في العمل الشعري عنصراً من العناصر التي تميّز بها الشعر العربي الحديث وأصبحت تشكل مصدراً خصباً حيث وظّفها الشاعر لإثراء نصّه الشعري وإكسابه عمقاً وفتحاً على دلالات ثرية فهي مقياس ثقافة الشاعر وسعة مصادره إلى حدّ كبير. إنّ الأسطورة لها في حياة الانسان وظائف عدة منها محاولة تفسير ما يصعب فهمه على الانسان من ظواهر كونية تفسيراً يقوم على مفاهيم أخلاقية أو روحية ثم إعطاء تفسير شبه منطقي لتجارب الانسان في حياته اليومية مضافاً إلى ذلك أنّ لها وظيفة نفسية ترتبط بأحلام البشر وتصوراتهم الرمزية وتؤدّي إلى تجارب الانسان النفسية في الحياة وإلى مخاوفه وآماله (وهبة، ١٩٧٤: ٣٣٩).

خلفية البحث

هناك بحوث علمية كثيرة تطرقت إلى شعر أدونيس وشعر محمدرضا شفيعي كدكني بشكل منفصل ومقارنة مع شعراء آخرين كشاملو والبياتي وسبهي وفي موضوعات أخرى كالرمز والتوظيف الصناعي والتصوف، لكنّ لم نعثر على بحوث تدرس الأسطورة بشكل مقارن في أدب هذين الشاعرين ومن هذا المنظار يُعدّ هذا البحث الأول في هذا المضمار.

نشير هنا إلى بحوث كان موضوعها هذين الأدبيين وساعدتنا كثيراً في تناولنا الموضوع:

□ التوظيف الرمزي والصناعي للحلاج في شعر البياتي وشفيعي كدكني (دراسة مقارنة) مجلة اللغة العربية وآدابها، العدد ٣: فيها إشارته إلى مواقع وقضايا رمزية حول الحلاج ويقارن بين أسلوب البياتي وشفيعي في طريقة معالجتهما لهذا الرمز والمعاني المعنية بها.

□ تجليات ومعالم الأسطورة في شعر أدونيس، محمّد الفيتوري و عبد الوهاب البياتي، مجلة اللغة

العربية و آدابها، المجلد ١٠، العدد ٣٨: يحاول هذا البحث دراسة إتجاهات الشعراء الثلاث في توظيفهم للأسطورة.

□ تحلي تجارب صوفيانه در شعر ادونيس و سهراب سپهرى، مجلة اللغة العربية وآدابها، المجلد ٨، العدد ٢١: نرى في هذه الدراسة التركيز على التحليلات الصوفية عند أدونيس وما يعيننا في هذا المقال أنه يعالج الأفكار الصوفية عند أدونيس وما يرسمها من السلوك الصوفي والتوجهات المعرفية حول الإنسان والمجتمع الإنساني.

□ أسطورة تموز عند رواد الشعر الحديث في سورية والعراق، مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها، العدد ١١: قام هذا البحث بدراسة أسطورة تموز عند الشعراء المعاصرين ومنهم أدونيس.

أسئلة الدراسة

- ما هي نظرة الشعراء حول الاسطورة؟
- ما هي مواقع التشابه والإفتراق الأسطوري عندهما؟

الأسطورة عند العرب

ليس لكلمة الأسطورة جذورٌ في الأدب الجاهلي ولكنها جاءت في القرآن بمعنى سلبى يدلّ على مناوئة المشركين للقرآن الكريم، بينما للأسطورة مكان عالٍ في الأدب العربي المعاصر. تأثّر الأدب العربي بالأدب الغربي من الأربعينيات حتى الثمانينيات سبّب حضور الأساطير في شعر الشعراء المعاصرين. تجدر الإشارة هنا بأنّ الشعراء العرب لم يتوقفوا عند الأساطير في مفهومها الغربي بل أصبح للأساطير الغربية في الشعر العربي نكهة عربية خاصة. علاوةً على أسطورة سيزيف وأسطورة ارفيوس، دخلت أساطير عنتره، وزرقاء اليمامة، وتموز في الشعر.

أمّا بالنسبة للأساطير في الأدب الفارسي ليس هناك حضور جوهري ولا يمكن قياسها بالعربية. تقول عائشة عبدالرحمن حول دور الأسطورة في الشعر العربي: الأسطورة مظهر من مظاهر التراث وتوظيفها في الشعر المعاصر يرتبط ارتباطاً وثيقاً بهدف استخدام التراث كما يجب على الأديب أن لا يكون منفصل الصلة مع تاريخ شعبه وسنته حتى يستطيع أن يبين ما في ضميره بشكل واضح وجلي بعيداً عن الغموض (عبدالرحمن، ١٩٧٠: ١٦٥).

لا نكاد نجد شعباً من الشعوب إلّا ولديه أسطورة أو مجموعة أساطير في الخلق والتكوين وأصول الأشياء، نزولاً إلى العصر الحديث حيث احتلت هذه المسألة الجانب الأكبر من ميتافيزيقيا جميع الفلسفيات (السواح، ١٩٩٦: ٢٧). «إذن الوجه المشترك فيما يتعلّق بأنوثة الأسطورة في شعر أدونيس هو أن كلّها تدور حول مفهوم واحدة ونسبيّة التغيير» (الخير، ٢٠١٠: ٥).

يغدو الأدب أكثر حياة وتدقّقاً كلّما اقترب من الكلام. وحين تضيع التقاليد التراثية من الشعر يصبح منقطعاً غير مستمر، كأنّه معجم كلمات دون علاقات، أو انفجاراً من كلمات غير متوقعة (عباس، ١٩٧٨: ١١١).

شاهد الأدب طوال التاريخ محاولات تعصية ضدّ النساء، ومن هذا المنطلق حاول المنتقدون أن يستفيدوا من التفاسير الجديدة حول أساطير المرأة كمفتاح في الأدب النسائي حتى يردوا إليها هويتها المفقودة منذ القديم (حرب، ١٩٩٩: ٩٤).

الأسطورة عند أدونيس وشفيعي كدكني

إنّ للأسطورة في الشعر العربي المعاصر دوراً مهماً كعنصر من التراث الانساني حيث اتجه إليها الشعراء وأكثرها من استعمالها في نصوصهم الشعرية. لذلك تعالج هذه المقالة البحث عن الأسطورة وكيفية توظيفها في أشعار الشاعر الإيراني شفيعي كدكني والشاعر السوري أدونيس. من المستنبط أنّ علاقة هذين الشعارين مع الأسطورة علاقة فنية تعتمد على التوافق والتخالف، وإنّ الشعارين هذين منحا الأسطورة دلالة عصرية من خلال ما يوجبه السياق من تغيير وتحويل واستخدامها كتعبير عن التجارب السياسية والأوضاع الإجتماعية والقضايا الروحية والذاتية وبيّننا الحاضر بتوظيف الماضي فأغنى عملهم الفني بالاشكال المتعددة.

يهدف البحث هذا إلى الكشف عن رؤية شفيعي وأدونيس واستجلاء أفكارهما في نصوصهم الأسطورية من خلال قراءتها اعتماداً على المنهج الوصفي - التحليلي. لقد تبين من خلال هذه الدراسة أن تاويل الشعارين للأسطورة قد تمّ من منظار الرؤية الانسانية والحياة و الكون، حيث حاولا التكهّن بما سيحدث مستقبلاً من تأثير وإنفعال، كما توصّل البحث إلى أنّ مفهوم الأسطورة عند هذين الشعارين يقوم على أساس الابداع الفني والتفطن إلى ما تتضمنه الأسطورة من رموز ومعان تبلور التجربة الانسانية وتثري الانتاج الابداعي الأدبي.

إنّ الغرض من توظيف الأسطورة في شعر شفيعي وأدونيس يختلف اختلافاً تاماً عن تعريفها حين يلجأ الشاعر إلى الأسطورة كي يستفيد منها لجمالية النص الشعري، حيث نرى هذين الشعارين لا يستخدمان الأسطورة إلاّ ولديهما فكرة وابداع فنيّ، حينما تبرز مشاعرهما في قالب الأسطورة فيقصدان إلى خلق عالم أساطيري بميزات البعث والإغناء والجمال وهما من الشعراء البارزين لقدرتهما الفائقة في استخدام الأساطير.

يدعو شفيعي وأدونيس الانسان من خلال استدعاء الأساطير كجزء من المجتمع إلى الوعي ولذلك يأتيان بنماذج من الأساطير والشخصيات الأدبية والاجتماعية حتى يكون رمزاً للوضع الحالي والقضايا التي يعاني منها المجتمع ويبلغان بالشعر إلى درجات عالية من الابداع وأن يصبغها بالصبغة الرمزية ويدنوا بها إلى درجة الرمز وينيطا بها معاناة انسانية شاملة.

الأسطورة لدي شفيعي كدكني

ترتبط الأسطورة ارتباطاً وثيقاً بالشعر وهي متجذرة في ثقافة الأمة وحضارتها، وإنّ الأدب هو أحد عوامل الخلود والحياة الثقافية وحضارة الأمم. صدي الأساطير في شعر شفيعي واسع النطاق ولديه علاقة عميقة مع الأدب والثقافة القومية ويمتلك رؤية واسعة النطاق، إلى حد أنّ المعتقدات والأساطير والأحداث الهامة تنعكس في شعره.

مجموعاته الشعرية مليئة بالأساطير والمعتقدات والأحلام فالمعرفة العميقة للشاعر، مع تنوع في المفاهيم الدينية والأسطورية، وحجم التراث الأدبي الذي يمتلكه جعل شعره يتميز عن الآخرين. الأسطورة في شعر شفيعي «م سرشك» هي الإنسان ولكن ليس أي إنسان بل الإنسان الطاهر الذي لا يخضع لجبر الدهر. شفيعي «م سرشك» يعيش مثل هذا الإنسان زردشت النبي كان أو سیاووش أو ماني أو عين القضاة أو بوريا ولي.

تتجلى أساطير قديمة مثل سیاووش وبيجن وكاوه ودرفش وكاوياني وطمئن وكاووس وسيمرغ «العنقاء» وزردشت وأهورامزدا وافرسياب... في شعره. قصة سجن بيجن ورواية سیاووش في شعر «م سرشك» تظهر الجور والظلم في حياة أفراسياب:

هر گوشه‌ای از این حصار پیر

صد بیژن آزاده در بند است

خون سیاووش جوان در ساغر افراسیاب پیر می جوشد

خونی که هر قطره اش صد صبح پیوند است (شفيعی كدكنی، ۱۳۸۵ الف: ۱۲۵).

الإشارة إلى قصص الأنبياء في شعر شعراء إيران، لها تاريخ طويل، حتى أنّ شعراء عظماء مثل رودكي وفردوسي وعنصري وخاقاني ونظامي وسنابي وطار ومولوي وسعدي وحافظ وغيرهم ذكروا قصص الأنبياء عليهم السلام لغايات معينة في أشعارهم (بورنامداريان، ۱۳۸۳: ۷-۵۴). شفيعي «م سرشك» الذي يمتلك معرفة كبيرة بقصص القرآن والتورات والإنجيل والتفاسير والروايات الإسلامية لقد وظف الكثير من قصص الأنبياء عليهم السلام بحيث أنّ قصة آدم ونوح وإبراهيم وعيسى وموسى والخضر عليهم السلام كل واحدة منها قد تم توظيفها لبيان مضمون جديد أو خلق صور حديثة أو لإثارة العواطف فعلى سبيل المثال يستبدل «ماء الحيوان» بـ«ماء الحيرة» والشعر غارق في بحر الحيرة العميق بسبب الحب الإلهي ووصار بدل أن يبحث عن ماء الحياء يبحث عن قارة العشق، هذا العشق الذي يسلب القرار والسكون:

در جست وجوی قاره بی قرار عشق

اقلیم هشتمین ملکوت هفتمین زمین

بی توشه راه و قطب نما «میرا»

بر آب حیرت می رانی...

پیش از تو خضرها و سکندرها

خاشاک موج خیز این بحر بوده اند

در جست وجوی قاره بی قرار عشق

پارو به موج هایش بسیار سوده اند (شفيعی كدكنی، ۱۳۸۵ ب: ۱۹۵-۱۹۴).

إنّ ارتباط الشاعر العميق بالثقافة الإسلامية وحبه للإنسان الكامل والطاهر جعله ينشد أشعاراً نقية بعد أن يضيفي نظرة قدسية إلى هذا النموذج من الإنسان. شهادة الحلاج ونشيد الأحرار «أنا الحق» إحدى الأساطير التي تجلت بشكل وسيع في الآداب الفارسية؛ وقد جعله «سرر شك» مضموناً شعرياً أحراراً:

در آینه، دوباره، نمایان شد

با ابر گیسوانش در باد

باز آن سرود سرخ «انا الحق»

ورد زبان اوست

تو در نماز عشق چه خواندی؟

که سالهاست

بالای دار رفتی و این شحنه‌های پیر

از مردهات هنوز

پرهیز می‌کنند

خاکستر تو را باد سحرگاهان

هرجا که برد

مردی زخاک روید (شفیعی کدکنی، ۱۳۸۵ الف: ۲۷۵).

«م سرشک» ينظر إلى الآداب نظرة شاملة وعامة وتُوجد في شعره أساطير علمية مثل: الشخصيات والأبطال العالميين ممن لم يذكروا من قبل في الآداب الفارسية كتشبي جيفارا الرجل الأرجنتيني الشهير والثوري المناضل الذي قد قتل في حرب العصابات في بوليفيا:

امشب در خیمه مجنون دلتنگ کلامین دشت

بر توسنی دیگر

برای مرگ شیرین «گوارایی»

زین و یراق می‌بنند. (شفیعی کدکنی، ۱۳۸۵ الف: ۳۲۳)

لا شك أنّ عقلية أي شاعر عظيم لا تخلو من أن تتأثر بالشعراء الماضيين. كذلك في تطور شعر «م سرشک» كان لشعراء عظماء مثل الخيام، وحافظ، وفردوسي، وسعدي، ورودكي و... تأثير كبير. ودون أدنى شك يمكن للمرء أن يقول إن فهم شفيعي لمن سبقه من الشعراء في زمننا منقطع

النظير. ويقول غلامحسين يوسف: «إنّ إلمام شفيعي باللغة والآداب الفارسية وتفردّه بهذا الأمر دون سائر الشعراء المعاصرين لاسيما المحدثين ومعرفته بالفارسية الدرية منحته هذه القدرة العجيبة» (يوسف، ١٣٨٨ ش: ٧٨٤).

كتاب هستي، اين كتيبه خيام

كتاب هستي، اين سرود فردوسي

كتاب هستي، اين سماع مولانا

كتاب هستي، اين ترانه حافظ (شفيعي كدكني، ١٣٨٥ ب: ٦٩)

الف) تجلي الأساطير الوطنية والقومية

إنّ شعر كدكني متجذر في أعماق الثقافة والحضارة الإيرانية التي يصل عمرها إلى أكثر من حياة التاريخ؛ وقد بقيت رواسب من روايات هذه الحضارة الغامضة والرمزية في اللاوعي والتي يكمن وراءها عظمة ومجد للأبناء في الأجيال القادمة.

ب) تجلي أساطير الأنبياء والإشارة إلى سردياتهم عليهم السلام

الإشارة إلى قصص الأنبياء في شعر شعراء إيران، لها تاريخ طويل، حتى أنّ شعراء عظماء مثل مولوي وسعدي وحافظ وغيرهم لأسباب معينة ذكروا هذه القصص في شعرهم (بورنامداريان، ١٣٨٣: ٧-٥٤). وقد أدت معرفة كدكني العميقة بالقصص القرآنية أن يستفيد من كل واحدة منها للتعبير عن مضمون جديد أو خلق صور خيالية أو البيان عن العواطف الشعرية.

ج) تجلي أساطير الشخصيات الصوفية

في شعر كدكني، تسيطر الرؤية الواقعية والمثالية التي تخلق ملاحمها الشخصيات الأسطورية والدينية والصوفية. هذه الشخصيات تتردد بكثرة في شعره. ورغبة الشاعر العميقة في الثقافة الإسلامية والإنسان الكامل تجعل من الشاعر أن يبدع شعراً نقياً عبر تقديسه لسرديات هذه الشخصيات.

(د) تجلي الأساطير العالمية والعبارة للقومية

كدكني لديه نظرة عالمية وعامة عن الشعر والأدب، ولذلك في شعره توجد أساطير عالمية مثل الشخصيات والأبطال غير الإيرانيين الذين لا يمتلكون خلفية في الآداب الفارسية مثل تشي جيفارا (أحد الثوريين المحاربين والمشهورين وهو أرجنتيني).

(هـ) استدعاء الأساطير الخاصة بالشعراء الكبار

قد أثر شعراء كثيرون مثل خيام وحافظ و... في تطوير شعر شفيعي كدكني. وبجراً يمكن القول إن المعرفة التي يمتلكها كدكني حيال من سبقه من الشعراء منقطعة النظر. إنه يقتبس نصوصاً من هؤلاء الشعراء وأيضاً يدخل في شعره عقائدهم كعدم المبالاة لدى حافظ والشك عند الخيام والبساطة عند سعدي والملحمة عند فردوسي... كل هذه الأشياء مترسخة في شعره (كوي بنيه ورافر، ١٣٩٠: ١٠٠-٨١).

الأسطورة في شعر أدونيس

لغة الأساطير لغة خاصة وتستفيد من مفردات رمزية وتعايير عميقة، والتعرف عليها يساعد على فهم الشاعر، وتجعل المتلقي يطلع على عالم مليء بالرمز والأسرار. كذلك التعرف على خلفية الأساطير وغايتها وتاريخها والذي يظهر من خلال الرموز يساعد في معرفة القارئ على روح الشاعر بشفاية أكبر. ومن بين شعراء العربية المعاصرين، يحاول أدونيس أن يعطي قراءة جديدة عن الأساطير وحتى في بعض الأحيان يصنع منها رموزاً. يسعى أدونيس من خلال التطرق للرموز الأسطورية أن يتحرر من الظروف الراهنة. إنه وخاصة في فترة شبابه كان مغرماً بأبطال وطنه الأسطوريين وبعد هذه الفترة تجلّت هذه الرغبة في شعره بوضوح (عرب، ١٣٨٣ ش: ٣١).

وقد أدت المشاكل السياسية والاجتماعية والثقافية في المجتمع العربي أن يعبر عن رأيه واحتجاجه عبر الأساطير والرموز (سيدي، ١٣٨٦: ٣٩) والمهدف الآخر لأدونيس من توظيف الأساطير أن يستفيد من أبعادها الجمالية وربط النزعة القومية - الوطنية والإبداع الشعري (المصدر نفسه: ٣١). وبشكل عام، اختار أدونيس الأسطورة لتفادي العقلانية والعلم والبصيرة الفكرية التي تنتهك الفن، كذلك يستطيع من خلالها أن يواجه الهيمنة المادية التي حققتها التكنولوجيا الحديثة. وعند مقارنة الرموز الأسطورية، فإنه لا يكتفي بالإشارة العابرة التاريخية أو مجرد ذكر الأسماء لها (المصدر نفسه: ٣٥)؛ لأنه يعتقد أن الوقت الحالي يحتاج إلى قوة لإحيائه. يسعى

أدونيس إلى اكتشاف الحقيقة الخافية وراء الكواليس؛ ولهذا السبب، فإنه عندما يوظف الأساطير يعتمد على مكونات التناقض بين الحاضر والماضي. ووفقاً لما يرى، فإن الأسطورة هي الأساس الذي يجب أن يسير عليه الحاضر حتى يتفاد المعاناة الحالية ويتحرك نحو مستقبل مشرق. الأساطير الفينيقية في قصائد أدونيس هي من الأمثلة التي تذكر هذا الشعب بالماضي الرائع وتمثل وجهه الآخر (المصدر نفسه: ٣٦).

وأراد الشاعر عن طريق اختيار اسم أدونيس، رسم ما يجول في ذهنه من هواجس في أجواء هذه الأساطير. إن التنوع الذي أضافه أدونيس لشعر البعث والرماد من سلسلة «أوراق في الريح» هو عبارة عن أسطورة الفينيق. وفي هذا السياق أيضاً يمكن لنا مقارنة الولادة الجديدة لهذا الطائر بميلاد المسيح ابن مريم العذراء. ومن خلال هذه الأسطورة يبين أدونيس الخلود والبعث بعد الموت، ويرى أن تحمل الارتباك والخوف والإحباط واليأس من قبل جيل كامل لتبرير الموت أمراً جديراً (أسوار، ١٣٨١: ١١٤) كذلك يستخدم أسطورة الفينيق أكثر من أي رمز آخر لأنه أحب منذ الصغر أسطورة الحرق ثم الإحياء أي أحب النار والرماد والظهور من بين الرماد (عرب، ١٣٨٣: ١٣١) ترتبط هذه الأسطورة في شعر أدونيس بأساطير تموز، ومن هنا يتم دمجها بأساطير التحرر والفداء.

المسيح

المسيح هو أسطورة أخرى للتحرر والفداء ولذا قد دمجها أدونيس بأسطورة الفينيق ووضعها معاً في بناء هوية واحدة وذلك من أجل أن يبين غرضه بقوة أكبر (سيدي، ١٣٨٦: ٤٣).

للموت يا فينيقي، في شبابنا / للموت في حياتنا/ منابع، بيادر/ ليس رياح وحده /
ولاصد القبور في خطوره / وأمس مات واحد/ مات على صليبيه/ نجا عاد وهجه /
من الرماد الدجي / تأججاً / وهما، له أجنحة بعدد الزهور في بلادنا/ بعدد الأيام
والسنين والحصى/ مثلك يا فينيق فاض نخبه /علا، أحس جوعنا به / فمات، مات
باسطاً/ جناحه محتضناً حتى الذي رمده/ مثلك يا فينيق / يا حاضن الربيع اللهب /
يا طيري الوديع كالتعب / يا رائد الطريق (أدونيس، ١٩٨٨م: ٥١-٥٢)

أدونيس عبر التذكير بهذا المشهد (طائر الفينيق والرمادي الذي يخرج منه) يبين للقارئ الظروف المعقدة وغير المنضبطة للعالم العربي ويذكرهم أن نبياً مثل المسيح يستطيع تخلصهم من هذا الوضع.

تموز

أسطورة تموز التي ترمز إلى النشور والقدر لها أيضاً مكانة خاصة في شعر أدونيس. وفي شعره التالي يبيّن أنّ أسطورة تموز تمثّل التحرر والازدهار والفناء والوصول للكمال:

تموز ترتيله للشمس الأنف / تموز ينمو يحيا وهو يحتضر / تموز معجزه تأتي مع
الشفق / نعيش فيها، نفنى، ننتشي الماء / في غد يتلاقى في خميرتنا / فجر الحياة،
فجر البعث القادر (ادونيس، ١٩٨٥م: ١٣٥)

من ميزات شعر أدونيس، امتزاجه بالرموز والأساطير، فهو في بعض أشعاره يوظف الأسطورة دون تكلف وبجمال فائق مما يجعلها تضفي صوراً حية وغنية لشعره (عرب، ١٣٨٣ش: ٣٨) وفي نصه «شجرة الشرق» تتضح هذه المسألة بشكل كبير:

«صرت أنا و الماء عاشقين / أولد باسم الماء / يولد في الماء / صرت أنا و الماء
توأمين» (ادونيس ١٩٨٨: ١٤٣)

الامام الحسين (ع)

تلعب الرموز الدينية أيضاً دوراً مهماً في شعر أدونيس؛ فمثلاً نجد الإمام الحسين (ع) في شعره كرمز للموت و الفداء يظهر بجلاء ووضوح. وإن تجسيد هذه الرمزية الروحية، التي هي أسطورة الحزن والانتفاضة، إنّما هو انفجار ثوري من شأنه الإطاحة، وهو متجذر في روح الشاعر، وحكاية راسخة في لاوعيه منذ الطفولة؛ وهو ثورة داخلية وخارجية تنفجر من دم طاهر وترى جميع مظاهر الوجود متجهة نحو قبلة واحدة (رجعي ١٣٨١: ١٣٨).

وحيثما استقرت الرياح في الحسين / ازينت بجسد الحسين / داست الخيول في
جسد الحسين / واستلبت وقسمت ملابس الحسين / رأيت كل حجر يحنو على
الحسين / رأيت كل زهره تنام عند كتف الحسين / رأيت كل نهر يسير في جنازه
الحسين (أدونيس، ١٩٨٨: شماره ١٧).

الأنثه

إذا أردنا أن نفهم رؤية أدونيس حول مفهوم الأنثه في شعره، نحتاج إلى قراءة عميقة نجد جذورها

في الأساطير والتراث، لأنّ المرأة لم تبق في الشعر الحديث مجرد امرأة، بل أصبحت قيمة وبنته داخل لغة القصيدة (الموسى، ١٩٩٩: ٧٦).

إنّ آلهة الحبّ تظهر في شعره على صورة المرأة الخالقة التي شاركها أدونيس في خلقتها، وإنّ ربّات أورفيوس الموسيقية حركت قلب الحيوان وقالوا بكت الطبيعة لبكاء أورفيوس حتّى حنّت قلوب الآلهة، ففتحت له أبواب الأبدية كي يلتقي حبسيته في عالم الأرواح (شاهين، ١٩٩٦م: ٥٧). إذن الوجه المشترك فيما يتعلّق بأنوثة الأسطورة في شعر أدونيس هو أنّ كلّها تدور حول مفهوم واحدة ونسميّه التغيير» (الخير، ٢٠١٠: ٥).

النتيجة

من خلال دراسة الأسطورة ومعرفتها في شعر شفيعي كدكني وأدونيس توصلنا للنتائج التالية: إن شعر شفيعي، شعر الأساطير، والمعتقدات وأحلام الشعب الإيراني، ويضم بين طياته زبدة الثقافة الإسلامية، وهذا يدل على مدى المعرفة العميقة التي يتمتّع بها الشاعر ومدى علاقته الوثيقة بالحضارة الإيرانية والأجداد. إنّ فكرة تقديس الإنسان الطاهر عبر التاريخ بل وأبعد من ذلك تأخذ في شعر شفيعي مظهراً أسطورياً؛ فالشاعر يحب الإنسان الكامل ويخلق له صورة أسطورية بعواطفه وخياله، حتى أنه في بعض الأحيان عبر السرد الأسطوري يعبر عن المفاهيم التي يريد التعبير عنها أو الظروف والأحوال التي يرغب في وصفها وكل هذا من ميزات شفيعي البارزة وتفوقه في الشعر. يركّز أدونيس في توجهه إلى الأسطورة، على إعادة سرد المشاكل السياسية والاجتماعية وبيان المزاج النفسي وما يجول في خاطر وعلاقاته العقلية والفلسفية. لهذا فإن أدونيس يستخدم في الغالب الأساطير الآشورية، والسامية، والمصرية، والفينيقية، بل حتى أنه يخلق منها أساطير جديدة للتعبير عن هذه الأمور. وبالإضافة إلى الاستفادة من أسطورة المسيح، فهو أيضاً مهتمّ بالأساطير الإسلامية والتاريخية مثل أسطورة رأس الحسين والحلاج وما شابه ذلك.

المصادر

كتب

(١) عربي

- أدونيس (١٩٨٥)، الحصار، بيروت: دارالآداب.
- _____ (١٩٩٣)، النص القرآني وآفاق الكتاب، بيروت: دارالآداب.
- _____ (١٩٨٦)، زمن الشعر، الطبعة الخامسة، بيروت: منشورات فكر.
- _____ (١٩٨٨)، التحولات والهجرة في أقاليم النهار والليل، بيروت: دارالآداب.
- _____ (١٩٨٨)، أوراق في الريح، بيروت: دارالآداب.
- _____ (١٩٨٨)، المسرح والمرآيا قصائد (مرآيا وأحلام حول الزمن المكسور) مرآة الشاهد الرقم ١٧، بيروت: دار الآداب.
- بدوي، عبدالرحمن (١٣٣٢)، فن الشعر، قاهره: مكتبة النهضة مصر.
- حرب، طلال (١٩٩٩م)، أولية النص (نظرات في النقد و القصة و الأسطورة والأدب الشعبي)، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- الخير، هاني (٢٠١٠م)، أدونيس شاعر الدهشة وكثافة الكلمة، دمشق: دار رسلان للطباعة والنشر.
- السواح، فراس (١٩٩٦م)، مغامرة العقل الأولى (دراسة في الأسطورة: سورية بلاد الرافدين)، ط ١١، دمشق: دار علاء الدين.
- شاهين، محمّد (١٩٩٦م)، الأدب و الأسطورة، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر
- عباس، احسان (١٩٧٨م)، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
- عبدالرحمن، عائشة (١٩٧٠م)، قيم جديدة للأدب القديم والمعاصر، بيروت: دارالمعارف.
- موسى، خليل (١٩٩٩)، النص الشعري ومستويات القراءة، بيروت: دارالمعارف.
- الورقي، سعيد (١٩٨٤م)، نقد الشعر العربي الحديث، بيروت: دارالنهضة العربية.

(٢) فارسي

- أسوار، موسى (١٣٨١)، پيشگامان شعر امروز عرب، تهران: سخن.
- ايگلتون، تری (١٣٨٠)، پيش درآمدی بر نظریه ادبی، مترجم: عباس مخیر، تهران: مركز.
- بشردوست، مجتبی (١٣٧٩)، در جست و جوی نشابور، تهران: ثالث و یوشیج.

- پورنامداریان، تقی (۱۳۸۳)، *داستان پیامبر در کلیات شم*، تهران: سخن.
- تودوروف، تزوتان (۱۳۸۲)، *بوطیقای ساختارگرا*، مترجم: محمد نبوی، تهران: آگه.
- رجایی، نجمه (۱۳۸۱)، *اسطوره رهایی*، مشهد: دانشگاه فردوسی.
- زرین کوب، عبدالحسین (۱۳۸۱)، *ارسطو و فن شعر*، تهران: امیرکبیر.
- شرفی، محمد (۱۳۸۷)، *فرهنگ ادبیات فارسی*، تهران: نشر نو.
- شفيعی كدكنی، محمدرضا (۱۳۸۵: ب)، *هزاره دوم آهوی كوهی*، حاوی ۵ دفتر شعر، تهران: سخن.
- _____ (۱۳۸۵: ج)، *موسیقی شعر*، تهران: آگه.
- _____ (۱۳۸۵: الف)، *آینه‌ای برای صداها*، تهران: سخن.
- عرب، عباس (۱۳۸۳)، *آدونیس در عرصه شعر و نقد معاصر عرب*، مشهد: دانشگاه فردوسی.
- میرصادقی، جمال و میمنت (۱۳۷۶)، *واژه‌نامه هنر داستان‌نویسی*، تهران: کتاب مهناز.
- یوسفی، غلامحسین (۱۳۸۸)، *چشمه روشن*، تهران: فروزش.

الدوریات

۱) عربی

آدونیس (۱۹۵۹)، «محاولة في تحديد القصيدة الجديدة» *مجلة الشعر*، لبنان، العدد ۱۱.

۲) فارسی

کریمی پناه، ملیحه؛ ابوالقاسم رادفر (۱۳۹۰)، «تجلی اسطوره در شعر شفيعی كدكنی» *مجلة الآداب الفارسیة الحديثة*، الدورة ۱، العدد ۱، الصفحات (۸-۱۰۰).

بررسی تطبیقی بوطیقا در اشعار شفیعی کدکنی و آدونیس

عبدالحسین فقهی^{۱*}، صفورا فصیح رامندی^۲

۱. دانشیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه تهران

۲. دانشجوی دکتری زبان و ادبیات عربی دانشگاه امام خمینی (ره) قزوین

چکیده

اسطوره یکی از عناصر ادبی پرکاربرد در ادب معاصر عربی است که کمتر دیوان معاصر را می‌توان یافت که در آن از اسطوره در قالب ساختارهای اسطوره‌ای یا شخصیت‌ها و نمادها و نقاب‌ها استفاده نشده باشد. به یقین می‌توان گفت تحلیل شعر ادبی معاصر عربی به خصوص اشعار و سروده‌های دهه‌های چهل تا هشتاد بدون شناخت از اسطوره ممکن نیست. علت رواج اسطوره در شعر عربی از یک سو به سانسور حاکم بر جامعه عربی بازمی‌گردد و از سوی دیگر تحت عنوان غرب‌گرایی قابل تحلیل است. اسطوره در نزد آدونیس و شفیعی کدکنی که هر دو از شاعران بزرگ معاصر ایران و عرب محسوب می‌شوند، رنگ بومی به خود گرفته است. اسطوره‌های یونانی، فنیقی و آشوری در شعر آدونیس و اسطوره‌های ملی در شعر شفیعی کدکنی از این رویکرد حکایت می‌کند؛ اما مذهب و تصوف نزد هر دو شاعر به خوبی نمایانگر شده است. هر دو به حلاج و امام حسین اشاره دارند. آنچه در بُعد مذهبی اسطوره‌های شعر آدونیس جلوه‌گر است، حضور حضرت مسیح (ع) است که زبان اسطوره‌ای به خود گرفته است و البته شفیعی کدکنی در این زمینه سروده‌ای هم‌پای آدونیس ندارد. نکته مهم اینکه هر دو شاعر با رویکرد انسان‌گرایی، توجه جدی به مقوله «انسان کامل» دارند.

کلیدواژه‌ها: ادب فارسی؛ ادب عربی؛ اسطوره؛ آدونیس؛ شفیعی کدکنی.